المحور السادس: منهج البحث والتقنيات في الأنثروبولوجيا

المحاضرة 10: تقنيات البحث الميداني

تمهيد:

اعتمدت الدراسات الأنثروبولوجية في بداياتها على المعلومات التي كان يجمعها ضباط الإدارة الاستعمارية والمبشرين والرحالة والتجار، وهم في الغالبية من غير المتخصصين، مما جعل هاته الدراسات تتسم بالمبالغة والتضارب، لذلك كان لزاما على الباحثين إيجاد طرق جديدة لجمع معلومات أكثر مصداقية ترتقي بالبحث الأنثروبولوجي إلى المستوى العلمي المطلوب، ومن بين الطرق التي تم التوصل إليها لجمع المادة العلمية في الدراسات الميدانية ما يلي:

1) تقنية الملاحظة بالمشاركة:

تتطلب هذه التقنية من الباحث أن يتنقل الى مجتمع البحث ، وأن يجد لنفسه مكانا يمكن له من خلاله كسب ثقة المبحوثين، لكأن يشاركهم نشاطاتهم المختلفة والتي تقربه منهم حتى يتضاءل فعل المقاومة فيهم ويطمئنون له، معتمدا على تسجيل ملاحظاته آنيا في تقارير يومية مكتوبة أو مسجلة بما يمكنه فيما بعد بالقيام بعملية التحليل، فهذ ا التواجد في مجتمع البحث يمكن الباحث من فهم المعطيات المادية والثقافية والاجتماعية التي تنظم العلاقات والممارسات في المجتمع.

2) تقنية المقابلة:

المقابلة في البحث الميداني هي حلقة تواصل بين الباحث والمبحوث حول موضوع معين، يكون الباحث فيها العامل المؤثر والمسؤول على إدارة الحوار، لذلك يستوجب عليه أن يتمتع بمهارات مهنية معينة تمكنه من الحصول على المعلومات المطلوبة والصحيحة من المبحوث.

3) تقنية سيرة الحياة:

تتلخص في تدوين أهم الأحداث التي مرت في حياة أفراد المجتمع، بحيث يروي الأفراد ما حدث معهم خلال مسار حياتهم من الميلاد، وتستلزم هذه التقنية وجود ثقة كبيرة بين الباحث والإخباري السارد للأحداث، مما يدعم مصداقية المعلومات المتحصل عليها.

4) الاختبارات النفسية:

وتعد هذه التقنية نادرة الاستخدام مقارنة مع الاختبارات النفسية التي أدخلها الأنثروبولوجيون الثقافيون في بحوثهم، وتستخدم لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، وذلك بغرض تحديد العلاقة بين حضارة ذلك المجتمع والسمات والخصائص الشخصية لأفراده.

5) تقنية المقارنة:

تعتمد على المعلومات الوصفية للبناء الاجتماعي والأنساق الثقافية لمجتمع ما، ومقارنتها بمثيلاتها في المجتمعات الأخرى، ويجب على الباحث عند استخدام هذه التقنية أن يعتمد على الدراسات الميدانية التي قام بها المتخصصون في الأنثروبولوجيا بفروعها المختلفة، والتي يمكن أن يثق في موضوعيتها ومصداقيتها، وأن يبتعد عن الدراسات الوصفية التي قام بها الرحالة ورجال الصحافة وغير المتخصصين والتي لا تصلح للمقارنة.

6) التقنية الجينيالوجية:

تستخدم في دراسة المجتمعات البدائية والبدوية التقليدية نظرا لطبيعة العلاقات فيها، وهي تتأسس على الدراسة البنيوية لشجرة النسب، حيث تقسم هذه الطريقة الجماعات البشرية في المجتمعات المدروسة حسب أشجار الأنساب، إذ يسمح هذا التتبع باسترجاع ذاكرة أفراد العائلة وكل الأحداث التي لها دلالات تمكننا من التعرف على تاريخ الأسرة والانتماء العائلي، كما تتيح للباحث عملية تفسير الظواهر والتحولات المتوارثة من جيل الى جيل، وتكشف الأسرار العائلية، والتوترات الاجتماعية الحاصلة، من علاقات وتفاعلات وسلوكات فردية واجتماعية على مختلف المستويات، كأسلوب الإنتاج، ونمط المعيشة، والكسب، والاهتمامات المهنية....

7) الوسائل السمعية البصرية:

إن توظيف واستخدام أجهزة الصوت والصورة والتصوير السينمائي، والفيديو من أهم الوسائل الوظيفية التي أصبحت في متناول الباحثين لتدوين وتسجيل مواضيع الأنثروبولوجيا المختلفة، خاصة تلك المتعلقة بالتراث الشعبي والفلكلور وغيرها ...، فهي تساعد الباحث على تسجيل كل مشاهد اته دون إهمال لأي عنصر، مع إمكانية العودة إليه وتكراره لفهمه بدقة، كما تجنبه عناء التسجيل الكتابي المرهق والذي يمكن أن يهمل بعض التفاصيل المهمة.

خلاصة:

تعتمد البحوث الأنثروبولوجية على تقنيات وطرائق وأدوات بحثية كثيرة ومتنوعة لجمع المعطيات الميدانية، وذلك حسب المواضيع المدروسة، وأهدافها، وطبيعة المجتمعات التي تجرى عليها البحوث المختلفة، وعلى الباحث أن يختار فيها بينها الأداة المناسبة والتي تمكنه من الوصول إلى الحقائق العلمية المتعلقة بالظاهرة محل الدراسة، ولهذا نجد من النادر أن يتوقف الباحثون في هذا الميدان عند تقنية معينة لجمع المعلومات المطلوبة، بل عادة ما يلجؤون إلى استخدام أكثر من أداة من أجل تحقيق مبتغاهم العلمي.

المراجع:

1) علي الحاج، **مناهج البحث الأنثروبولوجية**، موقع أرنثروبوس، تحت زيارة الموقع بتاريخ/ 2022/11/12، على الرابط: https://www.aranthropos.com

2) مخلوف رحاب، "**مناهج وتقنيات البحث الأنثروبولوجي**"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، المجلد 11، العدد 02، 2014/02/01.

3) أبو عمران، **منهجية البحث في الأنثروبولوجيا**، تحت زيارة الموقع بتاريخ/ 2022/11/12، على الرابط: <https://sociologie.forumperso.com>